نابليون يصبح إمبراطورًا على عرش فرنسا

• الرجل المنشود المنقذ للفرنسيين:

عاد نابليون إلى فرنسا بعد حملته على مصر، واستقبله الشعب استقبال الأبطال فهو القائد القوي الذى فتح إيطاليا، ونظم شئون مصر، وعمل على خدمة مصالح فرنسا الخارجية فى الوقت الذى تصارع فيه أعضاء الحكومة صراعًا أنانيًا للاستحواز على السلطة، بينما لم يغامر ذلك البطل بالدخول فى تلك الصراعات. لقد وجد فيه أغلب الفرنسيين البطل المنقذ الجدير بتخليصهم من متاعب العيش وتدهور الاقتصاد، وبإخماد الفتن التى أثارها أنصار الحكم الملكي السابق، والداعون إلى الفوضى والفساد، وقطاع الطرق الذين زادوا وانتشروا، كما أنه القائد القوي القادر على تأمين حدودهم والتصدي لأعداء البلاد من النمساويين والإنجليز، والروسنكان ذلك هو حال الرأى العام الفرنسي تجاه نابليون عندما عاد نابليون كانت الحكومة الفرنسية على وشك الانهيار، وشرع "سييز" رئيس الحكومة الإدارية فى وضع دستور جديد عُرف باسم "دستورسييز"، ولكن وجود الدستور لم يكن كافيًا لإصلاح حال البلاد حيث أصبح هناك حاجة

obeikandl.com

ماسة لشخص قوي ليضع ذلك الدستور محل التنفيذ، ويعيد الاستقرار للوضع السياسي، والوضع الاقتصادي، ويضرب بيد من حديد على المخربين، ودعاة الفتن. وكان نابليون هو ذلك الشخص المنشود الذى كسب الرأى العام الفرنسي لصالحه.

• قنصل فرنسا الأول:

• انقلاب بريمير:

لقد استطاع نابليون كسب الرأى الفرنسي، وبقى أن يجعل ذلك محل تنفيذ بالوصول إلى مقعد السلطة فى فرنسا، فراح يخوض مجال السياسة بالعنف تارة وبالحيلة تارة أخرى، وأعلن نابليون نفسه أنه وليد الثورة، واستطاع بمساعدة رجل من حكومة الإدارة يؤيده ويدين بمبادئه، وهو الأب "سييس" وأيضًا بمساعدة أخيه "لوسيان" أن يُحدث انقلابًا عُرف باسم "انقلاب بريمير"، ولكن ذلك الانقلاب سرعان ما اتخذ شكلاً قانونيًا من خلال الاستفتاء العام. وفى يوم 9 نوفمبر سنة 1799م أعلن نابليون نفسه كقنصل فرنسا الأول، وأقسم أن يقيم الجمهورية على مبادئ الحرية والمساواة، وكان يعتبر بذلك المنصب أكبر رأس فى الجهاز الحكومي، وصار منذ ذلك الوقت يعرف باسمه الشائع "نابليون".

جاء هذا الاسم نسبة إلى ثاني شهور السنة فى تقويم الحرية الفرنسية.

• كلمات تاريخية:

فى حديث عتاب للحكومة السابقة، قال نابليون لأحد رجال

الإدارة الذى جاء لمقابلته فى حديقة القصر كلمات رددت صداها أنحاء فرنسا حيث قال: "ماذا فعلتم بفرنسا التى تركتها مزدهرة؟ تركتها والسلام يخيم على ربوعها، وعدت إليها فإذا الحرب بها! خلَّفت لكم النصر، فعدت لأرى الهزيمة، حملت إليكم ثروة إيطاليا، وهأنذا أجد النهب والبؤس".

نابليون.. قنصل فرنسا الأول.

• نابليون يستعيد مجد روما القديم:

لقد أصبح نابليون بذلك المنصب أشبه بيوليوس قيصر قنصل الرومان الذى سبقه بنحو ثمانية عشر قرنًا من الزمان، وقد وضع بالفعل نابليون صورة قيصر، وأمجاد الإمبراطورية الرومانية أمام عينيه، وحَلُم بتكوين إمبراطورية فرنسية عظمى على غرار إمبراطورية الرومان، ولربما تساءل فى

نفسه: إذا كانت روما صاحبة تلك العظمة فى الماضي، فلم لا تصبح باريس كذلك فى الحاضر؟!. وقد امتلك نابليون بالفعل الخصائص التى تؤهله لذلك فقد كان قوي الشخصية طموحًا، شديد الثقة بنفسه فضلاً عن مهارته الحربية العالية.

• محاولة اغتيال نابليون:

إن قنصل فرنسا الأول لم يسلم من تربص أنصار الملكية السالفة به، وتآمرهم عليه ومحاولة الخلاص منه.. فى إحدى تلك المحاولات، تزعم "الكونت دارتوا"، وهو ثاني إخوة لويس السادس عشر مؤامرة لقتل نابليون شارك فيها "جورج كادودال" أحد أبرز الملكيين المتمردين فى لافنديه، و"يشجرو" فاتح هولندا فى فترة الثورة، لكن شرطة نابليون كشفت تلك المؤامرة، وألقت القبض على المتآمرين، ومنهم من أُعدم، ومنهم من مات فى السجن، وظهر من خلال التحقيق معهم مشاركة متآمر آخر كان ينتمي للعائلة الملكية وهو الأمير "دانجيان"، فقبض عليه وخضع للمحاكمة. ولكن قبل الانتهاء من محاكمته أُلقى به فى خندق، وأُعدم رميًا بالرصاص بأوامر من نابليون، وقد برر نابليون ذلك السلوك القاسي العنيف بجعله عبرة لمن يحاول من جديد إشعال نار الفتن، وتدبير المؤامرات من جانب الملكيين وقال نابليون: "لقد أرادوا القضاء على الثورة الفرنسية متمثلة فى شخصي، وكان لابد من الدفاع عنها بكل قوة وشراسة".

• **موقعة مارينجو:**

لقد جاء أول اختبار حربي لنابليون قنصل فرنسا الأول بعد عدة شهور منذ توليه ذلك المنصب.. وذلك من خلال "موقعة مارينجو" الحربية التى وقعت فى 14 يونيه سنة 1800م. لقد استهان نابليون بتأمين استحوازه على شمال إيطاليا فلم تتوافر السيطرة العسكرية الكافية هناك، وذلك فى الوقت الذى كانت لاتزال فيه النمسا بزعامة الإمبراطور "فرنسيس" تفكر فى استعادة سيطرتها هناك بمساعدة حليفتها روسيا، وقد حدث ذلك بالفعل.. فأعدت حكومة النمسا جيشًا قويًا ترأسه الجنرال "ميلاس"، وانقض على مواقع الفرنسيين فى هجوم شرس مفاجئ، وراح النمساويون يطاردون الفرنسيين بكل قوة حتى كاد الفرنسيون يفرون من ساحة المعركة، وكاد النصر يتحقق للنمساويين، واستيقظ القائد العسكري الفرنسي "ديزيه" من نومه على صوت طلقات المدافع، وهو القائد القريب من نابليون، والذى حقق انتصارات كبيرة برفقته خلال حملته على مصر، واستطاع "ديزيه" أن يلم شمل جيشه المتفرق مرة أخرى، وأن يحول الهزيمة إلى انتصار عند قرية "مارينجو" التى وصل إليها نابليون، وكان ممتلئًا بالنشاط والحماس، والروح القتالية، وتبعًا لذلك الانتصار العظيم اضطر "ميلاس" لعقد اتفاقية سلام ذليلة مع فرنسا تنازلت فيها النمسا عن المناطق الشمالية بإيطاليا لتعود إلى السيادة الفرنسية مرة أخرى، وبذلك انتهى الصراع الذى استمر طويلاً بين الطرفين، وكان من الواضح أن

نابليون مدين بذلك الانتصار بدرجة كبيرة إلى صديقه الوفي "ديزيه".

الحرس الخاص بالقنصل نابليون يدخل إلى ساحة القتال فى "موقعة مارينجو".

عقد اتفاقية السلام بين فرنسا والنمسا فى اليوم التالي لموقعة مارينجو..
فى 15 يونية سنة 1800م.

• **نيلسون يجدد انتصاراته:**

على جانب آخر، وفى السنة التالية لموقعة مارينجو.. سنة1801م استطاع القائد الحربي الإنجليزي نيلسون أن يشد انتباه الفرنسيين، والعالم إلى قوة إنجلترا المتزايدة، واتساع نفوذها الخارجي بتوجيه ضربة قوية للدنمارك بتدمير أسطولها فى ميناء كوبنهاجن.. وكأنه يقول: "نحن هنا أسياد البحار"، ولكن فى نفس الوقت تزايدت قوة فرنسا ونفوذها الخارجي بشكل مضطرد على يد قنصل فرنسا الأول نابليون، وأصبحت كل من إيطاليا، وسويسرا تحت سيادته، وهو ما زاد من الصراع بين الطرفين الذى تفوقت فيه فرنسا على الأرض، وتفوقت فيه إنجلترا فى البحر.

• **نابليون يعيد تنظيم فرنسا، ويدفعها للنهوض:**

ولكن..كيف أدار قنصل فرنسا الأول البلاد؟..وما الذى حققه لها من إنجازات على المستوى الداخلي؟

• **قانون نابليون:**

لقد أصبح نابليون على رأس نظام الحكم، واتخذ أخوه "لوسيان" مقعدًا مجاورًا له فى السلطة حيث تولى منصب وزير داخليته فى فترة ما، وترأس نابليون السلطة التشريعية حيث كان يعمل تحت رئاسته مجموعة من المشرعين بمجلس الدولة لوضع وصياغة القوانين، ثم عرضها عليه لكنه فى الحقيقة لم يجنح للاستبداد، وإنما عمل على مراجعة كل

القوانين الفرنسية، وإعادة صياغتها وتعديلها بما يوفر الحرية والعدالة للشعب..تلك القوانين التى لازالت تشكل الأساس للقانون المدني الفرنسي..والتى عُرفت باسم "قانون، أوشريعة نابليون Code Napoléon" التى يعتبرها المؤرخون أعظم إنجاز داخلي لنابليون.لقد نجح نابليون فى إدارة البلاد بحزم ونظام، وبثقة كبيرة فى المستقبل، وكان يقضي وقتًا طويلاً مع مجلس الدولة فى مناقشة السياسات، والمشاريع، والميزانيات، وأضفت شخصيته القوية، وثقته الشديدة بنفسه جدية على نظام العمل والإدارة، فشعر كل إداري وموظف بالحكومة بأن زمن التهاون والخروج عن القانون قد ولّى دون رجعة.

- **نابليون يلم شمل فرنسا:**

•السياسة المركزية الجديدة فى الحكم:

لقد كانت فرنسا قبل مجيء نابليون للسلطة فى حالة تشتت سياسي.. حيث كانت مقسمة إلى مقاطعات، أو ولايات يترأس كل منها والٍ يختص بوضع السياسات التى تنتهجها ولايته دون الرجوع للسلطة العليا فى باريس، وهو ما أدى إلى حالة من الفوضى فى القوانين، والتضارب الواضح فى السياسات العامة للبلاد، وقد اتبع نابليون سياسة مركزية فى الحكم لكنها كانت خاضعة لقوانين موحدة للدولة فجعل كل والٍ مسئول عن ولايته، وأطلق عليه تسمية "قنصل الولاية" لكنه يأخذ فى النهاية شريعته، وقوانينه فى الحكم من خلال "قانون نابليون" الذى صار قانونًا موحدًا للبلاد.

• إزالة الفوارق الطبقية:

• نظام الترقي الجديد:

إنه على الرغم من امتلاك نابليون لزمام السلطة دون منافسة، أو معارضة حقيقية من الأطراف الأخرى فى الحكم إلا أنه لم تكن هناك رجعة للنظم الملكية السابقة المستبدة الفاسدة التى قامت على أساس الفوارق الطبقية، وخدمة الأثرياء واستغلال الضعفاء والفقراء، بل سلك نابليون مسلكًا يتميز بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وظهر ذلك واضحًا فى مجال الترقي للوظائف ففتح نابليون الباب لكل مجتهد يمتلك كفاءة فى الترقي للوظائف، وبذلك أتاح الفرصة للجميع للحصول على مناصب عليا فى الحكومة على حسب كفاءتهم وبصرف النظر عن مستواهم الاجتماعي، فانهار بذلك النظام القديم الذى كان قائمًا على استئثار الأثرياء والنبلاء بالمناصب الرفيعة فى الدولة.

• التصالح مع الكنيسة:

لقد ظلت العلاقة بين السلطة والكنيسة متوترة لفترة طويلة..واتخذ أغلب الجنرالات موقفًا مضادًا لسياسات البابا، وكان نابليون يعلم جيدًا أن الدين يعد قوة كبيرة ومؤثرة بالنسبة لغالبية الشعب الفرنسي لذلك عمل على إرساء التصالح بين السلطة والكنيسة، وهو ما زاد من شعبيته بدرجة كبيرة.لقد مرت الكنيسة بحالات من الانقسام والاضطهاد الشديدة.ففى سنة 1792م نزعت الجمعية الأهلية أملاك الكنيسة، وجمدت أوقافها، وظل رجال الدين لفترة طويلة يقيمون شعائرهم فى

الحقول والغابات، وامتد اضطهاد الكنيسة إلى حد منع الكنائس من دق أجراسها لدعوة الناس للصلاة.. ومنع مرور قسيس فى موكب فى الطرقات العامة. وقد تغيرت تلك الأوضاع تمامًا من خلال سياسات نابليون، وفى سنة 1802م وُقِّعت اتفاقية صلح بين الكنيسة والحكومة الفرنسية أعاد من خلالها نابليون الكنيسة الكاثوليكية، وضمن حق إقامة الشعائر جهرًا، واعترف بأنها تمثل الدين السائد لغالبية الفرنسيين.

- **النهوض بالتعليم:**

اهتمت سياسة نابليون بالنهوض بالتعليم إيمانًا منه بدوره الكبير فى النهوض بفرنسا، ووضع مجموعة من الإجراءات والنظم الجديدة لتطوير مجال التعليم سواء فى المدارس أو الجامعات، وأنشأ مدارس عليا للخريجين للحصول على شهادات علمية بمثابة الماجستير والدكتوراه. ويرجع إليه الفضل فى إنشاء " مدرسة الطبيعةEcole Normale " التى تعد من أشهر مدارس دراسة الطبيعة والأحياء على مستوى العالم، والتى لاتزال تحتفظ بمكانتها الكبيرة فى باريس حتى الآن. كما شجع نابليون حركة البحث العلمي والابتكارات، والاختراعات، وظهر فى زمنه مجموعة من العلماء الفرنسيين النابغين أمثال العالم الفلكي لابلاس "La Place" الذى توصل لاكتشافات فلكية هامة. وقد أدى ذلك الاهتمام بمجال التعليم، والبحث العلمي إلى تمتع فرنسا فى تلك الفترة بأفضل نظام للتعليم فى الغرب.

• إمبراطور فرنسا:

نابليون فى زي الإمبراطور.

لقد حقق نابليون مكاسب كبيرة لفرنسا، فأنقذها من حالة الفوضى، وأسس لها حكومة تتمتع بالثقة والثبات، وخاض إصلاحات كبيرة فى العديد من المجالات، واستطاع بذلك أن يكسب مكانة كبيرة فى القلوب ولذا فإنه عندما عمد إلى تحويل سلطته من قنصل إلى إمبراطور لم يُحدث ذلك فرقًا كبيرًا أو معارضة واضحة من جانب الشعب، وفى يوم 2 ديسمبر سنة 1804م نصب نابليون نفسه إمبراطورًا على عرش فرنسا ووضع نظامًا لتوريث الحكم، فقرر ألا تخرج الإمبراطورية عن دائرة أبناء "ليتيشيا"، وهى أمه حتى إذا لم ينجب الإمبراطور ولدًا وفى حفل تنصيبه حضر البابا "بيوس السابع" وقام بوضع التاج على رأس نابليون معبرًا عن ترحابه باعتلائه عرش الإمبراطور، وردد نابليون أمام الحاضرين القسم بأن يعمل على إرساء مبادئ الحرية والمساواة وحماية الملكية الخاصة وتوسيع نفوذ فرنسا

obeikandl.com

الخارجي، واحتفالاً بتلك المناسبة أهدى الموسيقار بيتهوفن سيمفونية "إيرويكا" إلى نابليون التى تحكي عن بطل الثورة الفرنسية.

تتويج نابليون على عرش فرنسا فى2 ديسمبر 1804م. أقيم احتفال بمناسبة تتويج نابليون على عرش فرنسا، وحضره البابا، وفى هذه اللوحة الفنية يظهر نابليون حاملاً التاج الذهبي ليتوج زوجته "جوزفين" بعدما وُضع تاجه الذهبي على رأسه.

• نابليون.. وحياة الملوك:

وقد استدعى ذلك المنصب تكوين بلاط ملكي، وإقامة حفلات الاستقبال والاهتمام بالرسميات، ولكن نابليون الكورسيكي ذا الطبع الخشن لم يكن فى الحقيقة متوافقًا مع تلك الأمور فكان لايميل للملاطفة ولا للأحاديث العامة الطويلة ولا يهوى الرقص ولايتمتع بحس موسيقي أو ميول فنية لذلك فإنه كان يتعرض أحيانًا أثناء احتفالاته فى قصر فرساى إلى نظرات ساخرة وأحاديث جانبية تفضح أمره، لقد كان نابليون رجلاً عسكريًا خشنًا لايستهويه سوى طموحاته العسكرية، لذا قيل عنه: "إن نابليون رجل يعتبر المدنية عدوه الشخصي".